كتاب
المعاني الكبير
في أبيات المعاني

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب ٩٤٢٤-١١ - تلكس : NASHER 41245 Le

مقدمة

لكتاب المعاني الكبير لابن قتيبة الدينوري

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

مكانة الشعر القديم: كان العرب قبل الاسلام أمة امية كتابهم الطبيعة، مدرستهم الحياة، أقلامهم ألسنتهم، ودفاترهم قلوبهم، وكان كل من اراد منهم تقييد فكرة، او تخليد حكمة، او تثبيت مأثرة، او اظهار عبقرية في دقة الاحساس ولطف التصوّر واتقان التصوير، أنشأ في ذلك ابياتاً او قصيدة، فلا تكاد تجاوز شفتيه حتى يتلقفها الرواة فيطيروا بها كل مطار، فكان الشعر وحده هو مؤلفاتهم وهو تاريخهم وهو مظهر نبوغ مفكريهم.

ثم جاء الاسلام فنقلهم من الامية الى العلم والحضارة، ومن العزلة عن الامم الى مخالطتها، فكان من جراء تلك المخالطة مع ما أفادوا

بها من المصالح أن أخذت السليقة تضعف، وأخذ اللحن والخطأ يتسرب الى ألسنتهم، وأخذ الخطر يهدد اللغة وآثار السلف ويتطاول الى الدين نفسه، فان مداره على الكتاب والسنة وهما باللسان العربي الفصيح، فنهض العلماء لمقاومة ذاك الخطر فدوّنوا اللغة وأسسوا قواعدها وقيدوا شواردها، وكان من أهم ما اعتنوا بحفظه اشعار القدماء لعلمهم انها تراثهم وتاريخهم، وانها المنبع المعين لمعرفة اللغة وقواعدها، وانها هي المحك الذي يتيسر به نقد الحكايات والقصص عن احوال الجاهلية، فكان العلماء لا يكادون يصغون لحكاية لا تتضمن شعراً فان تضمنته بدأوا بنقده فان وجدوه كما يعهدون من الشعر الجاهلي وكما يعرفون من طراز من نُسب اليه وثقوا به وكان عندهم من اصدق الشواهد على صحة تلك الحكاية وإلا نبذوه وقالوا «شعر مصنوع» وجعلوا ذلك دليلا على اختلاق ذاك الخبر.

تدوين الشعر: من العلماء من دوّن الشعر بصفة دواوين للقبائل كديوان اشعار هذيل، ومنهم من دوّنه بصفة دواوين لافراد الشعراء كديوان الاعشى وديوان النابغة، ومنهم من اختار عدداً من القصائد كالاصمعيّات والمفضّليّات، ومنهم من انتخب قطعاً رتبها على حسب معانيها كالحماسة لابي تمام، ومنهم من جمع الابيات الغريبة المعاني المتأبية على أفهام اكثر الناس، وهي «أبيات المعاني».

بيات المعاني: قال السيوطي في المزهر (ج ١ ص ٢٧٥) في فصل الالغاز «..... وابيات لم تقصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف ان تكون الغازاً، وهي نوعان فانها تارة يقع الالغاز بها من حيث معانيها واكثر ابيات المعاني من هذا النوع، وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع

مجلداً حسناً وكذلك الف غيره وإنما سمّوا هذا النوع «ابيات المعاني» لانها تحتاج الى ان يسأل عن معانيها....»

أقول ومن تدبر ابيات المعاني بان له ان خفاء معانيها إنما يكون غالباً لغرابة الاسلوب وبعد المأخذ وطرافة الاستعارة فهي لذلك من آيات البلاغة ولم يكن يكاد يتعاطاها الاّ فحول الشعراء كأنهم انما يقصدون بها الدلالة على تفوّقهم في الشعر وتمكّنهم منه.

ومن فوائد هذا النوع ان قدماء العلماء باللغة والشعر قاموا بتفسيرها فعلّموا الناس كيف يفهمون كلام العرب.

المؤلفون في الفن: من المؤلفين في هذا الفن ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط المتوفي سنة ٢١٠ وقيل بعد ذلك، وعبدالرحمن بن عبدالله هو ابن اخي الاصمعي، وابو نصر احمد بن حاتم الباهلي المتوفي سنة ٢٣١، وابو العميثل عبدالله بن خليد مولى جعفر بن سليمان المتوفي سنة ٢٤٠، وابو عثمان سعيد بن هارون الاشناندانى، وأبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦، وأبو العباس احمد بن يحيى ثعلب المتوفي سنة ٢٩١، وأبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه المتوفي سنة ٣٤٧، ولم يطبع من هذه الكتب غير كتاب الاشناندانى.

وبين ايدينا الآن اغزر تلك الكتب مادة وأحسنها ترتيباً وهو الذي خصه السيوطي بالذكر كتاب ابن قتيبة وهو «كتاب المعاني الكبير».

التعريف بابن قتيبة [1]

هو الامام البارع المفسّر المحدّث الفقيه القاضي اللغوي النحوي الاديب الكاتب ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة يقال له المروزي لان اباه كان من مرو، ويقال له الكوفي لانه ولد بها وقيل بل ببغداد وبها أقام، ويقال له الدينوري لانه ولي قضاءها فأقام بها مدة.

مبدأ أمره: ولد بلا خلاف سنة ٢١٣، بالكوفة ويقال ببغداد وبها نشأ ولا نعرف عن مبدأ امره شيئاً بل ولا رفعوا فيما وقفت عليه من تراجمه نسبة زيادة على ما مرّ من تسمية ابيه وجده فقط ولا ذكروا أعربي النسب هو أم مولي غير أن الذي يشعر به اسم ابيه وجده انه عربي، وجل ما يعرف عنه هو طلبه للعلم وتأليفه.

شيوخه: من شيوخه في الحديث والسنة والفقه الامام العلم ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بابن راهوية المتوفي سنة ٢٣٨، وفي اللغة والعربية والادب وغيرها ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفي سنة ٢٤٨ وقيل بعدها، وابو اسحاق ابراهيم بن

---

(١) له ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب (ج ١٠ ص ١٧٠)، وفهرست ابن النديم (ص ١١٥) ونزهة الالباء لابي البركات ابن الانباري (ص ٢٧٢) والانساب لابن السمعاني (ص ٤٤٣ ـ الف)، وتاريخ ابن خلكان (ج ١ ص ٣١٤)، والميزان للذهبي طبعة مصر (ج ٢ ص ٧٧)، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ج ٣ ص ٣٥٧)، وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩)، وبغية الوعاة (ص ٢٩١)، ودائرة المعارف الاسلامية (ج ١ ص ٢٦٠)، عن البروفسور بروكلمان، وآداب اللغة العربية وتتمته له في الالمانية (ج ١ ص ٣٢٠)، وفي مقدمة المجلد الرابع من كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ترجمة له واسعة بقلم الفاضل احمد زكي العدوي.

سفيان الزيادي المتوفي سنة ٢٤٩، وابو سعيد احمد بن خالد الضرير، وابو الفضل العباس بن الفرج الرياشي المتوفي سنة ٢٥٧، وعبدالرحمن ابن عبدالله ابن اخي الاصمعي وغيرهم.

الرواة عنه: ممن روي عنه ابنه ابو جعفر احمد بن عبدالله بن مسلم[1] قاضي مصر المتوفي سنة ٣٢٢، وابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي المتوفي سنة ٣٣٤، وابو محمد القاسم بن اصبغ القرطبي، المتوفي سنة ٣٤٠، وأبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه المتوفي سنة ٣٤٧ وغيرهم.

مكانته في معرفة الشعر: واذ كان هذا الكتاب كتاب أدب والعلوم الادبية مدارها على معرفة النحو والمعرفة بالشعر ونقده فحق علينا أن نشير الى مكانة ابن قتيبة في ذلك. فاما مكانه في معرفة اللغة فيكفي شاهداً لذلك كتبه في الغريب: واما النحو والصرف فحسبك ان ابن قتيبة أول من جمع بين مذهبي الكوفيين والبصريين فانه لا يقوم لذلك الاّ من اتقن المذهبين وعرف الاصول التي تبنى عليها العلل والمقاييس عند الفريقين. واما الشعر فدونك كتابه الشعر والشعراء وكلامه فيه وما ذكره في تراجم الشعراء مما يختار للشاعر وما يعاب عليه، وكذلك ما اختاره في كتابه عيون الاخبار، فأما هذا الكتاب «المعاني الكبير» فحدّث عنه ولا حرج.

كان العلماء كالاصمعي وابن الاعرابي وغيرهما يظهرون التعصب على المحدَثين من الشعراء ويزعمون ان الفضل كله للمتقدمين، ذكر

---

(١) في ترجمته من رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر «انه كان يحفظ مصنفات ابيه كلها كما يحفظ السورة من القرآن»، ونحوه في الديباج المذهب (ص ٢٥) وزاد «ويرد من حفظه النقطة والشكلة وما معه نسخة».

اسحاق الموصلي انه انشد الاصمعي هذين البيتين.

هلْ إلى نظرةٍ اليكَ سبيلُ يرو منها الصدّى ويَشْفي الغليلُ
ان ما قلّ منكَ يكثرُ عندي وكثيرٌ ممنْ تحبُ القليلُ

فقال الاصمعي «هذا الدّيباج الخسرواني هذا الوشي الاسكندراني لمن هذا؟» فأخبره اسحاق ان البيتين له فقال الاصمعي «أفسدته أفسدته اما ان التوليد فيه لبين» [1] وقال ابن الاعرابي انما اشعار هؤلاء المحدثين مثل ابي نواس وغيره مثل الريحان يشمّ يوماً ويذوي فيرمي به واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حرّكته ازداد طيباً»[2] فانكر ابن قتيبة هذه الطريقة.

قال في مقدمة كتابه عيون الاخبار «مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين واشعار المحْدَثين اذا كان متخير اللفظ لطيف المعنى لم يُزرِ به عندنا تأخر قائله، كما انه اذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه».

وقال في أوائل كتابه الشعر والشعراء «ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيلٍ من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حقه ووفرت عليه حظه، فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه موضع متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه ورأي قائله ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده وجعل كل قديم منهم

(١) الاغاني ج ٥ ص ٧١ (٢) الموشح ص ٢٤٦.

حديثاً في عصره وكل شريف خارجياً في أوله فقد كان جرير والفرزدق والاخطل يعدون محدثين، وكان ابو عمرو بن العلاء يقول: لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته. ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخذيمي والعتابي والحسن بن هانىء فكل من أتى بحسن من قول او فعل ذكرناه له وأثنينا عليه به ولم يضعه عندنا تاخر قائله ولا حداثة سنه كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم والشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه».

أقول الظن بالعلماء انهم انما كانوا يظهرون التعصب للمتقدمين ترغيباً للناس في حفظ اشعارهم وروايتها لأنها حجة في اللغة والعربية فالشعر القديم حتى الرديء منه صالح لان يحتج به في تثبيت اللغة وقواعد العربية وتفسير القرآن وشرح السنة، والشعر المولد حتى ما كان منه بغاية الجودة لا يصلح للحجة في ذلك، فكان العلماء يرون ان حفظ اشعار المتقدمين والترغيب في حفظها وروايتها. وان كان فيها ما هو رديء من الفروض المتعينة لحفظ اللغة والدين بخلاف اشعار المولدين، يدلك على هذا ان العلماء قد كانوا يعيبون كثيراً من أشعار المتقدمين كما تراه في الموشح للمرزباني وغيره.

وقد كانوا يستجيدون كثيراً من أشعار المولدين فقد أنشد الاصمعي بيتين لاسحاق الموصلي وهما.

اذا كانت الأحرارُ أصْلي ومَنْصِبي ودافعُ ضيمي خازمٌ وابنُ خازمِ
عطسْتُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يَداي الثُّريا قاعداً غيرَ قائمِ

«فجعل الاصمعي يعجب منهما ويستحسنهما وكان بعد ذلك

يذكرهما ويفضلها »[1] وأنشد رجل ابن الاعرابي شعراً لابي نواس فسكت ابن الاعرابي فقال له الرجل: أما هذا من احسن الشعر؟ قال بلى ولكن القديم أحب إليّ[2]. وليس مقصود ابن قتيبة من كلامه في مقدمة عيون الاخبار والشعر والشعراء المفاضلة بين المتقدمين والمتأخرين ولا اثبات استواء الفريقين على الاطلاق وانما مقصوده انه يوجد في اشعار كل من الفريقين ما هو جيد وما هو رديء فيجب في الحكم على الشعر بالجودة او الرداءة ان ينظر اليه بحسب ما هو عليه.

وذكر في الشعر والشعراء ان طباع الشعراء تختلف فمنهم من يسهل عليه فن من الشعر كالمديح فيجيد فيه، ويتعسر عليه غيره فيجيء شعره فيه متكلفاً غير جيد. وذكر الاسباب والعوارض التي تعرض للشاعر، فمنها ما يبعثه على الشعر ويسهله له فيجيء شعره مطبوعاً جيداً ومنها ما يثبطه وينكده عليه فيجيء شعره متكلفاً رديئاً.

قال « وبهذه العلل تختلف اشعار الشاعر ورسائل الكاتب وقالوا في شعر النابغة الجعدي خمار بواف ومطرف بآلاف ولا أرى غير الجعدي الا كالجعدي ولا أحسب احداً من أهل المعرفة والتمييز نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع ان يقدم احداً من المتقدمين المكثرين على احد الا ان يرى الجيد في شعره أكثر منه في شعر غيره ».

ختيار الشعر: قال في الشعر والشعراء « وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار على جهات واسباب منها الاصابة

---

(١) الاغاني ج ٥ ص ٥٣ (٢) الموشح ص ٢٤٦.

في التشبيه.... ومنه ما يختار ويحفظ لان صاحبه لم يقل غيره.... وقد يختار ويحفظ لانه غريب في معناه... وقد يحفظ ويختار ايضاً لنبل قائله» وذكر لكل نوع من هذه أمثلة وذكر من أمثلة الاول الابيات التي فيها.

ونُبلى وُفْقَـاهـا كـ ـعـراقيبِ قطا طحـلِ

ثم قال «وهذا الشعر مما اختاره الاصمعي لخفة روية».

أقسام الشعر: ثم قال في الشعر والشعراء «تدبرت الشعر فوجدته اربعة اضرب ضرب منه حسن لفظه وجاء معناه كقول القائل:

في كفّـه خَيْـزرانٌ ريحُه عبِـقُ من كفِ أروعٍ في عَرْنينه شمَـمُ
يُغضِي حياءً ويُغضَى من مهابتـه فلا يُكلَّـم الا حيـنَ يبتسمُ

لم يقل احد في الهيبة احسن منه...» ثم ذكر أمثلة ثم قال: «وضرب منه حسن لفظه وحلا، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا كقول القائل:

ولما قَضَيْنا من منى كلَ حاجـةٍ ومَسَحَ بالاركانِ مَنْ هُو ماسِـحُ
وشُدَّتْ على حدبِ المَهارى رِحالُنا ولم ينظر الغادِي الذِي هو رائـحُ
أخذنا باطراف الاحاديث بيننـا وسالت باعناق المطيّ الاباطـحُ

وهذه الالفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع، فاذا نظرت الى ما تحتها وجدته: ولما قضينا ايام منى واستلمنا الاركان وعالينا ابلنا الأنضاء ومضى الناس لا ينظر مـن غـدى الرائـح ابتـدأنـا في الحديث وسارت المطي في الابطح[1]....» ثم ذكر أمثلة:

ثم قال «وضرب منه جاد معناه وقصرت الالفاظ عنه كقول لبيد:

(١) راجع اسرار البلاغة لعبدالقاهر ص ١٤ - ١٧.

ما عاتَبَ المرءَ الكريمَ كنفسه والمرءُ يُصلحَه الجليسُ الصالحُ

هذا وان كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء والرونق...» ثم ذكر أمثلة ثم قال «وضرب منه تأخر لفظه وتأخر معناه كقول الاعشى:

وفوهٌ كأقاحي غداةٌ دائمُ الهطلِ
كما شيب بماءٍ بارِدٍ من عسل النحلِ

ويحسن بمن يجب ان يتحقق معرفة ابن قتيبة بالشعر أن يتأمل ما قدمه في كتابه الشعر والشعراء قبل التراجم ثم ما اختاره في التراجم فان هذه الكلمة لا تتسع لاستيفاء البحث.

مكانته في علوم الأدب وغيرها

قال الخطيب في تاريخ بغداد «كان ثقة دينا فاضلا»، وقال ابن حجر العقسلاني في لسان الميزان «قال مسلمة بن قاسم: كان لغوياً كثير التأليف عالماً بالتصنيف صدوقاً من أهل السنة... يقال كان يذهب الى قول اسحاق ابن راهويه وسمعت محمد بن زكريا بن عبدالاعلى يقول كان ابن قتيبة يذهب مذهب مالك.

وقال نفطويه كان اذا خلا في بيته وعمل شيئاً جوّده وما أعلمه حكى شيئاً في اللغة الاصدق فيه.

وقال ابن حزم كان ثقة في دينه وعلمه.

وقال النديم: كان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو، وكتبه مرغوب فيها.... وقال السفلي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة».

وقال ابن خلكان «كان فاضلا ثقة... وتصانيفه كلها مفيدة» وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص

(ص ٨٦) « وابن قتيبة من المنتسبين الى احمد واسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، قال فيه صاحب كتاب التحديث بمناقب اهل الحديث: وهو أحد اعلام الائمة والعلماء والفضلاء وأجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلثمائة مصنف... وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة، ويقولون كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه »[1].

وقال ابو البركات ابن الانباري « كان فاضلا في اللغة والنحو والشرع متفنناً في العلوم وله المصنفات المذكورة والمؤلفات المشهورة » وفي لسان الميزان « وقال [الخطيب] في [كتاب] المتفق: شهرته ظاهرة في العلم ومحله من الادب لا يحقر » وفي بغية الوعاة « قال الخطيب كان رأساً في العربية واللغة والاخبار وايام الناس ».

وقال ابن السمعاني « ... وهو صاحب التصانيف كغريب الحديث ومختلف الحديث... وغيرها من الكتب الحسنة المفيدة » وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية بعد ما تقدم « قلت ويقال هو لأهل السنة

---

(١) حملت كتب ابن قتيبة الى المغرب في حياته او بعده بقليل فقد تقدم ان من الرواة عنه قاسم بن اصبغ القرطبي، وفي بعض الكتب في الرواة عنه ابو بكر المالكي ورأيت في ترجمة ولد ابن قتيبة احمد بن عبدالله بن مسلم من كتاب « رفع الاصر عن قضاة مصر » للحافظ ابن حجر نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن ما لفظه « قال ابن زولاق في سيرة جوهر دخل ابو احمد عبدالواحد ابن احمد بن عبدالله بن قتيبة على جوهر.... فاجابه.... اي شيء يكون المصنف منك؟ قال جدي، قال كم كتبه؟ قال احد وعشرون كتاباً، فقال جوهر او اكثر بقليل. فقال جوهر كان ابو جعفر البغدادي كتب كتب ابن قتيبة وكان يفتخر بها فورد على المهدي (العبيدي) الخبر أن ابن قتيبة ولي قضاء مصر فقال لابي جعفر نهنئك قد ولي ابن استاذك القضاء »....

كالجاحظ للمعتزلة فانه خطيب السنة كما ان الجاحظ خطيب المعتزلة».

وقال ابن الاثير في خطبة النهارية بعد ما ذكر تآليف القدماء في غريب الحديث «واستمرت الحال الى زمن ابي عبيد... فجمع كتابه المشهور... قال فيما يروَى عنه: إني جمعت كتابي هذا في اربعين سنة.... الى عصر ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث.... ولم يودعه شيئاً من الاحاديث المدرجة في كتاب ابي عبيد الا ما دعت اليه حاجة.... فجاء كتابه مثل كتاب ابي عبيد او اكبر.... واستمرت الحال الى عهد الامام ابي سليمان حَمْد بن محمد بن احمد الخطابي... فألف كتابه المشهور.... سلك فيه نهج ابي عبيد وابن قتيبة واقتفى هديهما وقال في مقدمة كتابه بعد أن ذكر كتابيهما واثنى عليهما....» ذكر الخطابي مؤلفات اخرى ثم قال «ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرنا ان يكون شيء منها على منهاج كتاب ابي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستنباط وكثرة الفقه، ولا ان يكون من جنس كتاب ابن قتيبة في اشباع التفسير وايراد الحجة وذكر النظائر وتلخيص المعنى...».

اقول من تدبر هذا علم علو درجة ابن قتيبة فان ابا عبيد جمع كتابه في غريب الحديث في اربعين سنة ولا شك انه جمع الاحاديث المشهورة والآثار المتداولة فلما جاء ابن قتيبة وحاول استدراك ما لم يذكره ابو عبيد فعمله اشق ومع ذلك جمع كتاباً مثل كتاب ابي عبيد او اكبر. وبالنظر الى كثرة مصنفاته الاخرى يظهر أنه قام بعمل كتاب غريب الحديث في سنوات قليلة.

وقال ابن النديم في الفهرست « كان ابن قتيبة يغلو في البصريين الا انه خلط المذهبين وحكى في كتبه عن الكوفيين وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجبل مرغوب فيها ».

وقال بروفسور بروكلمان « ويعتبر ابن قتيبة في كتب الادب امام مدرسة بغداد النحوية التي خلطت بين مذهبي البصرة والكوفة، والواقع ان مصنفات ابن قتيبة كمصنفات معاصريه أمثال ابي حنيفة الدينوري والجاحظ فقد تناولت جميع معارف عصره وقد حاول ان يجعل اللغة والشعر ـ وخاصة ما جمعه منهما نحويو الكوفة ـ وكذلك الاخبار، في متناول الذين يعملون في الحياة العامة ويرغبون في التعلم ».

نقض: سهم منه

اخذ عليه ابو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي في كتابه مراتب النحويين[1] « انه قد خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن اخذها » وذكر بعض مؤلفاته كالمعارف والشعر والشعراء وعيون الاخبار فقال « ان ابن قتيبة كان يشرع في اشياء ولا يقوم بها نحو تعرضه لامثال هذه المؤلفات ».

اقول اما الحكايات عن الكوفيين فلا حرج في ذلك، واما ما زعمه من التقصير في بعض مؤلفاته فكتابه المعارف لم يحاول فيه الاستيعاب وانما حاول جمع ما تشتد الحاجة اليه ويحسن بالمتأدب استحضاره ويسهل على الناس حفظه، على ان في صدر كتاب الفاخر عن الصولي ان ابا بكر ابن الانباري اخذ كتابه الزاهر من كتاب

(١) عن الترجمة المطبوعة في عيون الاخبار.

الفاخر للمفضل ابن سلمة كما ان قتيبة اخذ كتابه المعارف من كتاب المحبر لمحمد بن حبيب » ولم يزل العلماء يستمد بعضهم من بعض.

واما الشعر والشعراء فقد بسط ابن قتيبة مغزاه واوضح عذره في مقدمته في انه انما قصد جمع ما تشتد الحاجة اليه.

واما عيون الاخبار فمن طالعه بان له حيف عبدالواحد وتعنته.

وفي لسان الميزان « وقال الازهري في مقدمة كتاب تهذيب اللغة: وأما ابن قتيبة فانه ألف كتاباً في مشكل القرآن وغريبه وفي غريب الحديث... وما رأيت احداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه... وهو كثير الحدس والقول بالظن فيما لا يحسنه ولا يعرفه، ورأيت ابا بكر ابن الانباري ينسبه الى الغباوة وقلة المعرفة ويزري به ».

اقول اما كلام ابن الانباري فيكفي في دفعه ما قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص (ص ٩٥) قال « وابن الانباري من اكثر الناس كلاماً في معاني الآي المتشابهات يذكر فيها من الاقوال ما لم ينقل عن احد من السلف ويحتج لما يقول في القرآن بالشاذ من اللغة وقصده بذلك الانكار على ابن قتيبة، وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث من ابن قتيبة ولا افقه في ذلك، وان كان ابن الانباري من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ اللغة ».

فحاصل هذا ان ابن قتيبة يقف عند أقوال ائمة السلف وما يشبهها وابن الانباري يوسع في التأويل.

وقد قال ابن قتيبة في خطبة كتابه غريب الحديث[1] « وكتابنا

(١) عن الترجمة المطبوعة في عيون الاخبار.

هذا مستنبط من كتب المفسرين وكتب اصحاب اللغة العالمين لم نخرج فيه عن مذاهبهم ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم بعد اختيارنا في الحرف اولى الاقاويل في اللغة واشبهها بقصة الآية، ونبذنا منكر التأويل ومنحول التفسير » وكان هذا الاختلاف بين الرجلين يرجع الى اختلاف ما في المذهب كما يشير اليه كلام ابن تيمية.

واما الازهري فانما ينعي على ابن قتيبة كلمات رأى انه اخطأ فيها كما ترى بعض أمثلة ذلك في مادة (ب ع ل) من لسان العرب وقد نعى الازهري نحو ذلك على ابي عبيد وغيره من الائمة ومن تتبع كلام ائمة اللغة والغريب علم انهم كثيراً ما يقولون في بعض الكلمات باجتهادهم، والعالم يضطر الى مثل ذلك فيصيب ويخطىء والازهري نفسه لا يدعي لنفسه العصمة.

حياته يظهر أن حياة ابن قتيبة كانت حياة هادئة انما أولها في طلب العلم وآخرها في تصنيف الكتب واملائها ولم ينقل عنه كبير اختلاط برجال الدولة الا انه ولي قضاء الدينور فأقام بها مدة حتى نسب اليها ثم عاد الى بغداد فقضى فيها بقية عمره في جمع العلم ونشره، ويظهر أنه كان له علاقة علمية بالوزير ابي الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان وزير الخلافة ببغداد فانه ذكره في صدر كتابه ادب الكاتب وأثنى عليه فكأنه ألفه باسمه.

وفاته: قال الخطيب في تاريخ بغداد « قرأت على الحسن بن أبي بكر حدثنا احمد بن كامل القاضي قال: ومات عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في ذي القعدة سنة ٢٧٠، اخبرنا محمد بن عبدالواحد حدثنا محمد بن العباس قال قريء علي ابن المنادى وانا اسمع قال:

ومات عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب التصانيف فجأة، صاح صيحة سُمعت من بعد ثم أغمي عليه ومات.

قال ابن المنادى قم ان ابا القاسم ابراهيم بن محمد بن ايوب بن بشير الصائغ اخبرني ان ابن قتيبة أكل هريسة، فأصابته حرارة، ثم صاح صيحة شديدة، ثم أغمي عليه الى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد الى وقت السحر، ثم مات، وذلك اول ليلة من رجب سنة ست وسبعين».

وقال ابن خلكان «توفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل احدى وسبعين وقيل اول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين، والاخير أصح الاقوال».

تراثه العلمي: مؤلفاته

تقدم عن صاحب كتاب «التحديث بمناقب اهل الحديث» ان له زهاء ثلثمائة مصنف، ونقل عن النووي ان له نحو ستين مصنفاً، وذكر ابن النديم اثنين وثلاثين كتاباً.

وفي ترجمة ولد ابن قتيبة احمد من كتاب «رفع الاصر عن قضاة مصر» أن القائد جوهراً مولى العبيديين سأل حفيد ابن قتيبة عن مصنفات جده فقال «واحد وعشرون» فقال جوهر «أو أكثر بقليل».

وفي الترجمة المطبوعة في المجلد الرابع من كتاب عيون الاخبار بقلم الاستاذ احمد زكي العدوي بيان ضاف لتلك المصنفات واسماء ما عرف منها وما يتعلق بها ذكر ٤٨ مصنفاً فلتراجع هناك، وأقتصر هنا على كتاب المعاني.

كتاب المعاني الكبير

تقدم عن المزهر للسيوطي في الكلام على ابيات المعاني « وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً » وذكر البغدادي في خزانة الادب (ج ١ ص ٩) الكتب التي استمد منها وفيها « وابيات المعاني لابن قتيبة في مجلدين ضخمين [١] » ـ وفي ترجمة احمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة من كتاب رفع الاصر عن قضاة مصر للحافظ ابن حجر ذكر في جملة مصنفات ابن قتيبة « ومعاني الشعر » وايضاً وجدنا في ترجمة احمد في الديباج المذهب (ص ٣٥) في تعداد مصنفات ابيه ابن قتيبة « ومعاني الشعر ».

وفي فهرست ابن النديم عند ذكر ابن قتيبة « وله من الكتب كتاب معاني الشعر الكبير ويحتوي على اثني عشر كتاباً منها (١) كتاب الفرس ستة واربعون باباً (٢) كتاب الابل ستة عشر باباً (٣) كتاب الجرب عشرة ابواب (٤) كتاب العرور عشرون باباً (٥) كتاب الديار عشرة ابواب (٦) كتاب الرياح إحدى وثلاثون باباً (٧) كتاب السباع والوحوش سبعة عشر باباً (٨) كتاب الهوام اربعة عشر باباً (٩) كتاب الايمان والدواهي سبعة ابواب (١٠) كتاب النساء والعزل باب واحد (١١) كتاب النسب واللبن ثمانية ابواب (١٢) كتاب تصحيف العلماء باب واحد ».

وذكر پروفسور بروكلمان « كتاب المعاني » الذي ذكره ابن النديم

---

(١) لا منافاة بين القولين يمكن ان قطع هذين المجلدين كان صغيراً.

ثم قال « ومن المحتمل ان يكون عين كتاب ابيات المعاني، موجود بمكتبة آيا صوفيا رقم ٤٠٥٠ ».

وذكر الفاضل احمد زكي العدوي مصنفات ابن قتيبة فذكر فيها عدد (٢١) « معاني الشعر الكبير ... » ساق عبارة ابن النديم ثم كتب عدد (٢٢) وقال « كتاب المعاني في خزانة آيا صوفيا رقم ٤٠٥٠، الجزء الاول من كتاب المعاني لابن قتيبة، وهذا الجزء في كتاب الخيل[١]، وفي المكتب الهندي بلندن الجزء الثاني منه، واوله باب الذباب[٢] ويحتمل ان يكون هذان الجزءان من الكتاب السابق ».

اقول قد تصفحت النقل عن هذين الجزئين، فتبين لي أنهما من كتاب المعاني الذي ذكره ابن النديم. ومما يدل على ذلك اولا ان هذين الجزئين من تصنيف ابن قتيبة حتماً لشواهد كثيرةٍ، منها ما تشاهده في الجدول الآتي:

في عيون الاخبار لابن قتيبة (ج ١ ص ١٥٧ - ١٥٨)	كتاب المعاني (ص ١١٠) من مطبوعنا.
« وأنشدني أبو حاتم عن ابي عبيدة. .. قال ابو حاتم أحسبه لعبدالغفار الخزاعي.	« وأنشد ابو عبيدة هذا الشعر.. .. وقال [ابو حاتم] السجستاني هو لعبدالغفار الخزاعي

---

(١) هو الذي عبر عنه ابن النديم بكتاب الفرس وكذلك فيه كتاب السباع والوحوش وكتاب الطعام والضيافة وهذا الجزء في الاصل على ٥٣٩ صفحة (٢) وفي هذا الجزء كتاب الذباب وكتاب الهوام او كتاب الوعيد والبيان... والايمان والدواهي وكتاب الحرب وكتاب الميسر... والشيب والكبر وفيه بعض خروم وناقص من آخره. الموجود منه ٢٧٢ ورقة وهو في مكتب الهند بالقسم العربي رقم (١١٥٥).

ذاك وقد أَذْعَرَ الوحوشُ بصلـ
ـتِ الخدِّ رحبَ لبانه مجفرُ
طويلٌ خمس قصيرٌ اربعة
عريضٌ ست مقلص حشورُ
.... وقد فسرت هذا الشعر في كتاب المؤلف في ابيات المعاني في خلق الفرس.

ذاك وقد أَذْعَرَ الوحوشُ بصلـ
ـتِ الخدِّ رحبٌ لبانه مجفرُ
طويلٌ خمس قصيرٌ اربعة
عريضٌ ست مقلص حشورُ
قال قال ابو عبيدة طويل العنق طويل الاذنين طويل الذراعين طويل الاقراب طويل الناصية».

أنشد ابن السيد في الاقتضاب (ص ٣٠٢) قول الاعلم يصف ضبعاً

عشنزرةٌ جواعرها ثمانُ
فويق زماعها وشم حجولُ.

ثم قال «وذكر ابن قتيبة.... في كتابه الموضوع في معاني الشعر.. سألت الرياشي عن قوله جواعرها ثمان فقال الجواعر اربع وهي في موضع الرقمتين من مؤخر الحمار وأراه اراد زيادة في تركيب خلقها».

كتاب المعاني الكبير (ص ٢١٧) من مطبوعنا.

عشنزرةٌ جواعرها ثمانُ
فويق زماعها وشم حجولُ
العشنزرة الغليظة.

وسألت الرياشي عن قوله جواعرها ثمان فقال الجواعر اربع في رقمتي الحمار ومواصل اطراف عظام واراه اراد زيادة في تركيب خلقها».

أنشد البغدادي في خزانة الادب (ج ٤ ص ٢٠) لامرىء القيس يصف فرساً

اذا اقبلت قلت دباءة
من الخضر مغموسة في الغدر

وفي كتاب المعاني الكبير (ص ٦٠) من مطبوعنا

«وقال امرؤ القيس

اذا اعرضت قلت دباءة
من الخضر مغموسة في الغدر

وقال ابن قتيبة في ابيات المعاني وفسره بقوله

يقول كأنها من بريقها قرعة، وليس يريد أنها مغموسة في الماء ولكنه اراد أنها في ري فهو أشد لملاستها وهذا كقولك فلان مغموس في الخير، وقال بعضهم إناث الخيل تكون في الخلقة كالقرعة يدق مقدمها ويعظم مؤخرها».

«يقول كأنها من بريقها قرعة وليس يريد أنها مغموسة في الماء ولكنه اراد أنها في ري فهو أشد لملاستها وهذا كقولك فلان مغموس في الخير، وقال بعضهم اناث الخيل تكون في الخلقة كالقرعة يدق مقدمها ويعظم مؤخرها»

في الخزانة (ج ٣ ص ٦٤٢) «أنشده ابن قتيبة في ابيات المعاني....

كتاب المعاني الكبير (ص ٨٤ - ٨٥) من مطبوعنا وقال آخر

فأعقب خيراً كلّ أهوجٍ مهرجِ (؟) فأعقب خيراً كل اهوجٍ ممرجِ

وكل مفداةِ العلالةِ صلدمِ قال اي اعقبتهم خيلهم هذا (؟) خيراً مما قاموا عليها وصنعوها، والاهوج الذي يركب رأسه، والمهرج (؟) بكسر الميم الكثير الجري، وقوله وكل مفداة العلالة يقال لها اذا طلب علالتها وهي بقية جريها: ويها فدا لك

وكل مفداةِ العلالةِ صلدمِ أي أعقبتهم خيلهم هذه خيراً مما قاموا عليها وصنعوها والاهوج الذي يركب رأسه، والممرج الكثير الجري، وقوله مفداة العلالة يقال لها اذا طلب علالتها وهي بقية جريها: ويها فدي لك ومثله لطفيل

ومثله قول طفيل

وللخيل ايام [فمن يَصْطبرْ لها ويعرفُ لها ايامها الخير تعقبُ]

وللخيلِ ايامٌ فمن يَصْطبرْ لها ويعرفُ لها ايامها الخير تعقبُ والعرب لكثرة انتفاعها بالخيل

والعرب لكثرة انتفاعها بالخيل تسميها الخير قال الله تعالى ﴿انِي احببتُ حبَّ الخيرِ عن ذكرِ ربّي حتى توارت بالحجابِ﴾ ذكروا انه لها بالخيل وبالنظر اليها حتى فاتته صلاة العصر، وقال ابو ميمون العجلي فالخيلُ والخيراتُ كالقرينَيْن»

تسميها الخير، قال الله عز وجل ﴿انِي أحببتُ حبَ الخيرِ عن ذكرِ ربي حتى توارت بالحجابِ﴾ ذكروا انه لها بالخيل وبالنظر اليها حتى فاتته صلاة العصر، وقال ابو ميمون العجلي
فالخيلُ والخيراتُ كالقرينَيْن»

في الخزانة (ج ١ ص ٦٥) «من ابيات اربعة رواها الرواة لتأبط شراً منهم.... وابن قتيبة في ابيات المعاني.... والابيات هذه

وقربة اقوامٍ جعلتُ عصامها
على كاهلٍ مني ذلولٍ مرحلِ
ووادٍ كجَوْفِ العيرِ قفرٌ قطعته
به الذئبُ يعوي كالخليعِ المعيلِ

وفي كتاب المعاني الكبير (ص ٢٠٨ - ٢٠٩)
«وقال تأبط شراً:
ووادٍ كجَوْفِ العيرِ قفرٌ قطعته
به الذئبُ يعوي كالخليعِ المعيلِ
الخليع الذي قد خلعه اهله لجناياته والمعيل الذي ترك يذهب ويجيء حيث شاء.....

فقلتُ له لما عوَى ان شأنَنا
قليلُ الغنى ان كنتَ لما تمولِ
كلانا اذا ما نال شيئاً افاته
ومن يحترثُ حَرْثي وحرثكَ يهزلُ

طرحتُ له نعلاً من السبتِ طلة
خلاف ندى من آخر الليلِ مخضّلُ
وقلتُ له لما عَوَى ان ثابتاً
قليلُ الغنى ان كنتَ لما تمولُ
كلانا مضيعٌ لا حراثة عندهُ
ومن يحترثُ حرْثي وحرثكَ يهزلُ

الى ان قال «والخليع قال ابن قتيبة في ابيات المعاني هو الذي قد خلعه أهله والمعيل الذي ترك يذهب ويجيء حيث شاء،....

يقول ان كنت لا مال لك فانا لا مال لي، وثابت اسم تأبط شراً، لا حراثة

وروى ابن قتيبة: وقلت له لما عوى ان شأننا (؟)...: كلانا مضيع لا خزانة (؟).

عنده اي ليس عنده اصلاح مال ».

شرح ديوان امرىء القيس للوزير ابي بكر عاصم بن ايوب (ص ١٦) « وقال القتيبي يروي.

لها وثباتٌ كصوبِ السحابِ
فوادٍ خَطيطٍ ووادٍ مطرِ
الخطيطة ارض لم تمطر بين ارضين ممطورتين ويستحب سعة سحرة (؟) الفرس فجعل سحويه (؟) وهو (؟) ما بين حافر، (؟) من الارض خطيطاً وموضع الحافر مغيثاً ».

وفي كتاب المعاني الكبير (ص ٢٠) من مطبوعنا « وقال امرؤ القيس

لها وثباتٌ كصوبِ السحابِ
فوادٍ خطيطٍ ووادٍ مطرِ
الخطيطة ارض لم تمطر بين ارضين ممطورتين ويستحب سعة شحوة الفرس فجعل شحوته وهي ما بين حافريه من الارض خطيطاً وموضع الحافر غيثاً ».

وفي شرح ديوان امرىء القيس مواضع اخرى لكنه لا يسمي الكتاب بل يقول « وقال القتيبي » وعامة ذلك من هذا الكتاب « كتاب المعاني ».

شرح ديوان النابغة للوزير ابي بكر عاصم بن ايوب (ص ٣) قول النابغة

لئن كان للقبْريْنِ قبرٌ بجلقٍ
وقبرٌ بصيداءِ الذي عند حاربِ
وللحارثِ الجفني سيد قومه
ليلتمسنَ بالجيشِ دار المحاربِ

كتاب المعاني الكبير (ص ١٠١٥) « وقال النابغة

لئن كان للقبْريْنِ قبرٌ بجلقٍ
وقبرٌ بصيداءِ التي عند حاربِ
وللحارثِ الجفني سيد قومه
ليلتمسنَ بالجيشِ ارض المحاربِ

وقال في شرح ذلك ص ٤ « وقال القتيبي هذا تحضيض على الغزو يقول لئن كان ابن هؤلاء الذين سميت ووصفت مكان قبورهم ليغزون بالجيش دار من يحاربه »

هذا تحضيض على الغزو، يقول لئن كان ابن هؤلاء الذين سميت ووصفت مكان قبورهم ليغزون بالجمع دار من يحاربه.

وفي شرح ديوان النابغة مواضع كثيرة يقول فيها « قال القتيبي... » ولا يسمي الكتاب وعامة ذلك من هذا الكتاب « المعاني الكبير ».

ولم يذكر احد من مترجمي ابن قتيبة ان له كتابين في هذا الفن انما المعروف له كتاب واحد فما وقع في فهرست ابن النديم « كتاب المعاني الكبير » لعله اشارة الى انه أكبر من كتب المعاني التي ألفها غير ابن قتيبة.

ثانياً ـ قابلت التفصيل الذي ذكره ابن النديم بما في الجزئين فلم أجد فيهما خمسة من الكتب الضمنية التي ذكرها وهي الثاني والخامس والسادس والعاشر والثاني عشر.

واما السبعة الكتب الباقية فتبين لي أنها في الجزئين أكثر ذلك بوضوح وبعضه برجوح، وذلك انه وقع في بعض الالفاظ في فهرست ابن النديم تصحيف ووقع في الجزئين مخالفة في الترتيب وغير ذلك كما ترى بيانه في الجدول الآتي:

تفصيل ابن النديم ما يطابقه من الموجود من هذا الكتاب

١ ـ كتاب الفرس... الجزء الاول ـ اول المجلد الاول (ص ٢ ـ ١٨٠)
(ستة واربعون باباً) من مطبوعنا الجزء الأول في كتاب الخيل « ابيات المعاني في الخيل » ثم ساق الكلام وعدد العناوين كما سترى في الفهرست ستة وخمسون.

٢ ـ كتاب الابل... مفقود ـ وقد أحال عليه المؤلف في مواضع
(ستة عشر باباً) منها (ص ١٤) قال « وللعرق باب ألّفته في كتاب الابل فيه ابيات المعاني في عرق الابل ومنها (ص ٨١) قال « وقد فسر في كتاب الابل

٣ ـ كتاب الجرب... الجزء السادس ـ (ص ٨٧٩ ـ ١١٤٦) من
(عشرة ابواب) مطبوعنا « الابيات في الحرب » ثم ساق الابواب المناسبة « الطعنة والشجة والضربة في الديات في الثأر..... » وهي عشرة ابواب ـ فالظاهر أن كلمة « الحرب » تصحفت في فهرست ابن النديم، والذي أوقع في ذلك مجاورة الابل فان الجرب من أدوائها.

٤ ـ كتاب العرور... الجزء الثالث ـ (ص ٣٦٥ ـ ٦٠٢) من
(عشرون باباً) مطبوعنا « الثالث من كتاب المعاني لابن قتيبة وهو كتاب الطعام والضيافة.... ابيات معان في القدور » ثم ذكر بعد ذلك ابواباً « في الجفان، في الرحا... وهي عشرون باباً، فيظهر أن ابن النديم انما قال « باب القدور.... » فتصفحت الكلمة في النسخة اوقع في ذلك مجاورة الحرب والابل، لان العرور من ادواء الابل كالحرب.

٥ ـ كتاب الديار (عشرة ابواب) مفقود ـ وقد أحال عليه المؤلف في النصف الثاني الورقة الاصل ٢٤٣ ألف ـ ذكر بيت النابغة. كأن مجر الرامسات ذيولها، عليه حصير نمقته الصوانع ثم قال «وقد فسر في موضعه في وصف الديار»

٦ ـ كتاب الرياح... مفقود.
(احد وثلاثون باباً)

٧ ـ كتاب السباع... الجزء الثاني ـ (ص ١٨١ ـ ٣٦٤) من مطبوعنا
والوحوش «الجزء الثاني فيه الابيات في صفة الذئب والارنب والضبع والكلاب والاسد...» والابوابِ سبعة عشر كاملا.

٨ ـ كتاب الهوام... الجزء الرابع ـ (ص ٣٠٦ ـ ٧٩٢) «ابيات
(اربعة عشر باباً) في الذباب» وسقطت قبل ذلك ورقة، ثم ابيات في البعوض وابواب أخرى: الجراد ـ النحل ـ الجعل... الحية ـ العقارب ـ ضروب من الهوام» وعناوينه ثلاثة وعشرون،

٩ ـ كتاب الايمان... الجزء الخامس ـ (ص ٧٩٣ ـ ٨٧٢) من
والدواهي مطبوعنا «الجزء الخامس في الوعيد والبيان
(سبعة ابواب) والخطابة... والايمان... والداهية...» وعناوينه ستة.

١٠ ـ كتاب النساء... مفقود.
والعزل (والغزل؟).

١١ ـ كتاب النسب... الجزء السابع ـ المجلد الثالث من مطبوعنا واللبن (ثمانية ابواب) « السابع من كتاب المعاني... الميسر والشعر والشعراء والشيب والكبر وغير ذلك وابوابه ثمانية كاملا ، فكأن كلمتي « الشيب والكبر » تصحفت في نسخة الفهرست.

١٢ ـ كتاب تصحيف العلماء... مفقود (باب واحد)

ومما يصحح القياس في تصحيف « الجرب » عن « الحرب » وتصحيف « العرور » عن « القدور » وتصحيف « النسب واللبن » عن « الشيب والكبر » أمور:

الاول أن عدد الابواب في تلك الكتب على ما ذكره ابن النديم موافق لعدد الابواب في كتابنا « في كتاب الحرب » و « كتاب الطعام والضيافة » و « كتاب الميسر.... والشيب والكبر ».

والثاني ان من يعرف الادب العربي لا يخفي عليه ان الجرب والعرور لم يأت فيهما من الشعر ما يمكن ان يجمع من ابيات المعاني منه كتابان يحتوي الاول على عشرة ابواب والثاني على عشرين باباً ، وانما حقهما ان يكون لهما باب او بابان في كتاب الابل.

الثالث انه لو فرض ان هذا الكتاب غير كتاب المعاني الكبير الذي ذكره ابن النديم وان في ذاك كتابين للجرب والعرور لكان ذاك الكتاب خالياً من ذكر الحرب ، ذكر الطعام والضيافة ، فكيف يعقل ان يهمل ابن قتيبة في ذاك الكتاب الكبير الحرب والطعام والضيافة مع عظم أهميتهما وكثرة الاشعار فيهما ويعتني بالحرب والعرور؟

فأما اختلاف عدد الابواب فأقرب ما يوجه به اختلاف النسخ وأيضاً من العناوين ما يكتب اوله لفظ « باب » ومنها ما لا يكتب فيه ذلك، فيمكن ان تكون بعض العناوين ضمنية ويكون ما تحتها داخلا في الباب السابق وذلك مما ينشأ عنه اختلاف عدد الابواب.

قد سلف الاشارة الى مكانة الشعر العربي ثم الى مكانة فن ابيات المعاني وتفسير علماء السلف لها.

وههنا نذكر خصائص أخر لهذا الكتاب، فمنها:

١ ـ أنه متكفل بجمع غالب ابيات المعاني، وبقية كتب الفن مفقودة إلا كتاب الاشناندانى وهو مختصر جداً لا يكاد يبلغ نصف عشر الموجود من هذا الكتاب.

٢ ـ لم يقتصر ابن قتيبة على ذكر العويص من الشعر بل أتى به وبما يقرب منه وما يتصل به وما يناسبه في معناه فأصبح بذلك ذخيرة أدبية عظيمة.

٣ ـ في الكتاب طائفة غير قليلة من الاشعار التي لا توجد في الكتب المطبوعة ومنها ما يشك في وجوده فيما ابقته يد الحدثان من المخطوطات. من ذلك ارجوزتان طويلتان لامية في الخيل ايضاً.

٤ ـ فيه أشعار كثيرة توجد في الكتب الاخرى لكنها فيها غير مفسرة وهي فيه مفسرة بالتفسير الواضح.

٥ ـ المؤلف من الائمة الذين يستند الى قولهم ونقلهم في اللغة والغريب وفي هذا الكتاب جملة كبيرة من ذلك بحيث يصح ان يعد كتاب لغة لا كتاب أدب وشعر فقط.

٦ ـ عامة الالفاظ اللغوية المفسرة فيه انما هي واردة في الاشعار التي يفسرها، وفي ذلك أعظم فائدة لتحقيق ضبط الكلمة ومعناها

وموضع استعمالها، ومن أمثلة ذلك ان في تاج العروس شرح القاموس (و ق ي) «التقيا شيء يتقي به الضيف ادنى ما يكون» فأخذ هذه العبارة صاحب اقرب الموارد وزاد فضبط «التقيا» بفتح التاء وسكون القاف، وفي هذا الكتاب (ص ٤٢٤) «وأنشد، قرانا التقيا بعد ما هبت الصبا» ثم قال «التقيا شيء يُقراه الضيف يتَقي بهه الاذى بقدر ما تقول أطعمته شيئاً» فبان بوزن الشطر الذي اورده ان ضبط اقرب الموارد خطأ، واتضح معنى الكلمة، وثبتت عربيتها لانها في التاج غير منسوبة الى كتاب ولا امام.

٧ - يوجد فيه من الالفاظ اللغوية او الصيغ ما لا يوجد في المعاجم المطبوعة: من ذلك ما في (ص ٤٧٤) لعدي بن زيد.

ووطيد مستَعلْ سيبه عاقد الايام والدهر يُسنّ

قال «الوطيد الملك» ولم نجد هذا في المعاجم ولا هناك مظنة لتصحيف او تحريف.

ومن ذلك انه أنشد في (ص ٥٧٦) لابي النجم.

عيرا يكَد ظهره بالا فوق حمار أهل غير أن لم ينهق

ثم قال «أي يكد بالذل فواقاً بعد فواق» وهذا يعطي ان الافوق جمع فواق ولم نجده في المعاجم.

وأثمن من هذا وأجدَى ان فيه مواضع يتبين بها خطأ أصحاب المعاجم وتصحيفهم، منه ما في (ص ٤٤٦) أنشد لابن مقبل.

سقتني بصهباء درياقة متى ما تلين عظامي تلِن

صُهابية متسرع دنها ترجَّع في عود وعس مرِن

وفسره بقوله «أي ترجَّع الخمر في هذا القدح تعرف منه فيوالي عرفها ويُشرب وهو ترجيعه، وعسا لموالاة العَرف والحاجة كما

تواعس أنت الارض فتلحّ عليها وتطؤها، عود يعني قدحاً، والمرنْ الذي يُرِنّ، اذا شُرب أطرب صاحبه حتى يَرن أي يتغنى ويترنم...» ونقلت في التعليق عن القدماء ما يوافق قول المؤلف ان البيت الثاني في وصف الخمر وان كلمة «عود» اريد بها القدح، الا ان بعضهم قال الوعس هنا الرمل ومعنى عود وعس عود رمل وعني به قدح زجاج فان الزجاج يعمل من الرمل. فجاء بعض المتأخرين فتصحف عليه الشطر الاول وحدس ان البيت في وصف مغنية وان المراد بالعود عود الطرب وان الوعس ضرب من الشجر فتبعه اصحاب المعاجم من المتأخرين فزعموا ان الوعس ضرب من الشجر تعمل منه البرابط، وهذا كله حدس ولا يثبت في اللغة ان الوعس شجر.

٨ - لم يسق ابن قتيبة الاشعار التي يريد تفسيرها مفرقة كيفما اتفق بل رتب وبوب وهذب فقسم الكتاب اولاً الى اجزاء بحسب موضوعاتها كما تقدم فالجزء الاول في الخيل.

ثم رتبه على ابواب بدأ اولاً بابيات ابي دواد.

لقد ذُعرتْ بناتُ عـ ـم المرشِقاتِ لها بصابِصُ
بمجوفٍ بلقاً واعـ ـلى لونُه ورد مصَامصُ
ككنانةِ الزّغْرى زَيَّـ ـنَها مِن الذهب الدلامصُ
يمشي كَمَشي نَعَامَتَيْـ ـن تتابعان أشَقُ شاخصُ
يَخرجنَ من خلَلِ الغبا رِ فَجَامِزُ الوَلْقى وقابصُ

وأبيات اخرى تتعلق بألوان الخيل فظهر أن تلك المقدمة في وصف الوان الخيل، ثم ذكر الابواب: العرق، اضطرام العدو وحفيفه، في وثبها، لحوق الخيل بالصيد، الميل في احد الشقين، جريها ومشيها، ما يشبه به جريها ومشيها، التشبيه بالعقاب، التشبيه

بالبازي، التشبيه بالصقر، التشبيه بالنعامة.

وتراه يتحرى حسن التخلص من باب الى باب مع مراعاة المناسبة.

ويجمع بين النظائر ويضم الشيء الى مثله والشكل الى شكله وبذلك يتهيأ للمطالع الاحاطة بكل موضوع في مكان واحد ويتسنى للمراجع ان يظفر ببغيته في موضع معين.

ومن أثمن ما فيه جمع الاشعار الغريبة البديعة في صفات الوحوش والطير والهوام والحشرات كالاشعار في الذئب، والاشعار في القطا، والاشعار في الحية، والاشعار في النحل، وفي هذه الابواب وغيرها من الاشعار الوصفية الرشيقة ما لا غاية بعده في اطراب ارباب الذوق.

جل الفضل في احياء هذا الكتاب الجليل لجناب المستشرق الكبير الدكتور كرنكو، وذلك ان البحاثين لم يجدوا لهذا الكتاب أثراً في مكاتب العالم الا انهم عثروا على جزء منه في خزانة آيا صوفيا باستانبول رقم (٤٠٥٠) وجزء آخر بمكتب الهند بلندن في القسم العربي رقم (١١٥٥) فظفر الدكتور كرنكو عند بعض أصدقائه بنسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي عن جزء آيا صوفيا فبادر الى انتساخها بخط يده، ثم دعته همته العالية ورغبته الصادقة في احياء العلم ونشره الى تكميل الموجود من الكتاب فنسخ النصف الثاني من جزء مكتب الهند فحصلت له نسخة تحتوي على الجزئين.

وأفادنا الدكتور في بعض مكاتيبه ان الجزئين بخط واحد يظهر أنهما كانا نسخة واحدة فرقت بينهما ايدي الزمان وان كتابتهما كانت في القرن السادس او السابع. ولما رأى الدكتور ما في الاصل من كثرة

الخطأ والتصحيف شمر عن ساعد الجد وبذل غاية الجهد في تصحيح نسخته وضحّى في مقابل ذلك بمدة ثمينة من وقته صرفها في تقليب المعاجم وتتبع المظان من الكتب المطبوعة والخطيّة التي لم تطبع بعد، كما ترى دليل ذلك في تعليقاته القيمة، وبالغ في الاعتناء بتخريج أبيات الكتاب ولا يخفى على من زاول مثل ذلك ما فيه من المشقة الشديدة ثم اكمل ذلك بترتيب الفهارس المتعددة كما يأتي.

ثم بعث حضرة الدكتور كرنكو بنسخته المصححة الى إدارتنا العلمية «دائرة المعارف العثمانية» للطبع وذكر ما قاساه من سقم الاصل وانه مع ما عاناه وبذله من المجهود العظيم في تصحيح النسخة لا يثق بانه لم يبق في النسخة شيء من الغلط، فاحيلت النسخة الى كاتب هذه الكلمة فتصفحت الكتاب واستدركت بعض ما بقي بحسب ما بلغه علمي على ما تيسر واتسع له الوقت المقرر.

وقسمنا الكتاب الى ثلاثة مجلدات قد تم طبع مجلدين منها. المجلد الاول من (ص ٢ ـ ٦٠٢) يشتمل على الجزء الاول في كتاب الخيل، والجزء الثاني في كتاب السباع والوحوش، والجزء الثالث في كتاب الطعام والضيافة. المجلد الثاني من (ص ٦٠٣ ـ ١١٤٦) يشتمل على الجزء الرابع في كتاب الذباب، والجزء الخامس في كتاب الوعيد والبيان، والجزء السادس في كتاب الحرب ـ والمجلد الثالث تحت الطبع ويشتمل على الجزء السابع في الميسر والشعر والشعراء، وعلى فهارس الكتاب، الفهرس الاول للشعراء، والثاني لاعلام الرجال والنساء والقبائل، والثالث لأسماء الاماكن والمياه والايام، والرابع للكتب المذكورة في كتاب المعاني، والخامس للقوافي، والسادس للأمثال.

الاصل رغماً عن سقمه معرب الكلمات صواباً وخطأ واعتنى حضرة الدكتور بالمحافظة على الاعراب واصلاح ما بان له انه خطأ، لكن مع الاسف لا يتيسر لمطبعتنا وعمالها استيفاء الاعراب في المطبوع فنحن مضطرون الى الاقتصار على ما نراه ضرورياً منه.

اكثر التعليقات من افادات حضرة الدكتور كرنكو وبعض التعليقات بقلم كاتب هذه الكلمة وتمتاز في المطبوع بعلامة في اواخرها وهي حرف (ي) والتعليقات تشتمل على امور الاول اثبات حواشي كانت على هامش الاصل، الثاني تخريج الاشعار ببيان مواضعها من الكتب الاخرى، الثالث التنبيه على ما وقع في الاصل مما اعتقد المصحح انه خطأ مع بيان الحجة، الرابع فوائد مهمة من بيان معنى كلمة غريبة، او ايضاح مراد المؤلف، او التنبيه على تفسير آخر، او على رواية اخرى او نحو ذلك.

علينا وعلى جميع العالم الادبي تقديم الشكر الجزيل لحضرة المستشرق الجليل البحاثة الدكتور كرنكو فان له الفضل في احياء هذا الاثر الثمين مع ما بذله من المجهود البالغ في تصحيحه والتعليق عليه وترتيب فهارسه مؤملين ان لا يزال يقدم للعلم واهله أمثال هذه التحف السنية، ولا أنسى فضل الرفيق المفضال السيد زين العابدين الموسوي مصحح دائرة المعارف والقائم بتكاليف التصحيح المطبعي لهذا الكتاب مع تنبيهه لي على مواضع غير قليلة مما كان بقي في المسودة من الخطأ.

ونرجو من أهل العلم والفضل اذا عثر احد منهم على نسخة من هذا الكتاب قديمة يكون فيها تكملة القطعة الباقية (الابل، الديار، الرياح، النساء والغزل، تصحيف العلماء) ان يبادر باخبار دائرتنا

بذلك لنسعى في تكميل الكتاب، كما اننا نرجو منهم اذا عثروا في مطبوعنا على زلل او خلل ان يتكرموا باطلاعنا لنتدارك ذلك في الطبعة الثانية ان شاء الله تعالى:

طبع هذا الكتاب الجليل من اوائل الاعمال المهمة التي تقوم بها هذه الادارة العلمية في عهدها الجديد وهو عهد رئاسة ذي الفضل البارع والمجد الفارع النواب على ياورجنك بهادر عميد الجامعة العثمانية ورئيس الدائرة وهو من بيت الشرف والعلم والرئاسة والعناية بهذه الدائرة العلمية فان مؤسسها السيد الجليل العالم الشهير النواب عماد الملك أعلى الله مقامه، جده، ورئيسها السابق المأسوف عليه السيد الجليل مهدي ياورجنك رفع الله درجاته، خاله.

نجوم سُماءٍ كلما انقضّ كوكَبٌ بدا كوكَبٌ تأوي اليه كواكبُهُ

نسأل الله تعالى ان يجعله خير خلف لخير سلف في حسن العناية بهذه الدائرة العلمية وغيرها ويبلغه في الخير آماله ويقرن بالفوز أعماله.

وعهد إدارة العالم الجليل الفاضل النبيل الدكتور محمد نظام الدين الساعي لاصلاح شئون هذه الدائرة وتوسعة اعمالها ورفعها الى المستوى اللائق بها نسأل الله تعالى ان يكلل مساعيه الجميلة بالنجاح الباهر، ويثيبه على حسناته الجزيلة الثواب الوافر، وله الفضل في الاشراف على تصحيح الكتاب وعلى ترتيب هذه المقدمة واصلاح بعض ما فيها من الخلل والنقص مع الافادة بالمعلومات القيمة.

تقوم الدائرة بهذا العمل الجليل في عهد سلطنة مولانا السلطان

الموفق المعان سلطان العلوم نظام الملك مير عثمان علي خان بهادر مد الله في ايامه وبارك في أعماله وحفظ ولي عهده وسائر انجاله الكرام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
خاتم انبيائه محمد وآله وصحبه وسلم

عبد الرحمن بن يحيي اليماني
المصحح بدائرة المعارف العثمانية
بحيدر آباد الدكن
في ٩ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٦٨ هجري